سورة الطور

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٦ ﴾

وَالطُّورِ: (قسم) بجبل طور سيناء الذي كلم الله عنده موسى.

وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ: مكتوب على وجه الانتظام.

فِي رَقٍّ: ما يكتب فيه جلدا أو غيره.

مَّنْشُورٍ: مبسوط غير مختوم عليه.

وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ: هو الضراح في السماء أو الكعبة.

وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ: السماء.

وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ: الموقد ناراً يوم القيامة.

إِنَّ عَذَابَ : (جواب القسم) بما سبق.

تَمُورُ السَّمَاءُ: تضطرب وتدور كالرحى.

فَوَيْلٌ: هلاك أو حسرة أو شدة عذاب.

خَوْضٍ: اندفاع في الأباطيل والأكاذيب.

يُدَعُّونَ: يدفعون بعنف وشدة.

اصْلَوْهَا: ادخلوها. أو قاسوا حرها.

الطور هو اسم الجبل الذي منح عنده موسى عليه السلام النبوة في برية سيناء، والمراد بالكتاب المسطور التوراة، أما البيت المعمور والسقف المرفوع فالمقصود منهما الأرض والسماء على التوالي، وأما البحر المسجور فهو البحر الهائج المتلاطم الأمواج، كل هذه الأشياء شاهدة على أن يوم المؤاخذة الإلهية قادم ولا ريب، وبهذا النبأ ذاته بعث الله رسله تترى عبر القرون الخالية ، وهو مسجل في كل الكتب السماوية منذ أقدم العصور، كما تعلن عنه السماء والأرض بلغة الصمت والسكون، ويحكي البحر بأمواجه المتلاطمة قصة ذلك لكل سامع !!

إن الإنسان مجزي بعمله لا محالةً ، وهو ينبأ بذلك في الحياة الراهنة كإنذارٍ مسبقٍ، والذين لا يتنبّهون على هذا الإنذار المسبق، فإنما سيفاجئون غداً باستحالة غفلتهم وطغيانهم عذاباً أليماً يحيط بهم من كل جانبٍ بحيث لا يستطيعون دفعه عن أنفسهم ولا يجدون إلى الهرب منه سبيلاً!

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

فَاكِهِينَ: متلذذين ناعمين مسرورين.

سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ: موصول بعضها ببعض باستواء.

وَزَوَّجْنَاهُم: قرناهم.

بِحُورٍ عِينٍ: بنساء بيض نجل العيون حسانها.

إن أكبر جريمة يرتكبها الإنسان على هذه الأرض تتمثل في تكذيبه للحق، حيث إنها هي مصدر سائر جرائمه الأخرى، كما أن الاعتراف بالحق هو حسنة الإنسان الكبرى، إذْ تأتي كل الحسنات الأخرى كثمرة طبيعية لها، وبالاعتراف بالحق يتحطّم كبرياء الإنسان وتنهار عظمته، ومن ثم كان ذلك أصعب عملٍ وأشد وطأةً على نفس الإنسان، ولا ينجح في القيام بحقه إلا من جعلته مخافة الله وتقواه جاداً إلى أقصى حدود الجدية، والذين يقيمون الدليل على هذه الحسنة الكبرى يستحقون بالأحرى أن تفتح لهم أبواب جنان الخلد والنعيم المقيم !!

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾

وَمَا أَلَتْنَاهُم: ما نقصنا الآباء بهذا الإلحاق.

رَهِينٌ: مرهون عند الله تعالى.

يَتَنَازَعُونَ: يتجاذبون ويتعاورون.

كَأْساً: خمراً. أو إناء فيه خمر.

لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلاَ تَأْثِيمٌ: لا كلام ساقط في أثناء شربها ولا فعل يوجب الإثم.

لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ: مستور مصون في أصدافه.

مُشْفِقِينَ: خائفين من العاقبة.

عَذَابَ السَّمُومِ: نار جهنم النافذة في المسام.

هُوَ البَرُّ الرَّحِيمُ: المحسن العطوف، العظيم الرحمة.

إن كل إنسان سيكون في الآخرة مرهوناً بعمله وحده، فلا يحدث أن يُحمّل شخص شيئاً من ذنوب شخصٍ آخر، ولا أحد يُسمح له بالدخول إلى الجنة بدون الإيمان والعمل الصالح، بيد أن الله سبحانه يمتنّ على أهل الجنة بفضلٍ خاصٍ، هو أن الآباء المؤمنين لو كانوا في درجات عالية، وذريتهم في درجات أخرى دونها، فسوف يُلحق هؤلاء بأولئك، لتقر أعينهم برؤية بعضهم بعضاً، فيزدادوا سروراً إلى سرورٍ.

﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

رَيْبَ المَنُونِ: صروف الدهر المهلكة.

قَوْمٌ طَاغُونَ: متجاوزون الحد في العناد.

تَقَوَّلَهُ: اختلق القرآن من تلقاء نفسه.

إذا كان المرء لا يرغب في قبول دعوةٍ ما، رغم كونه لا يملك في مواجهتها دليلاً أوْ

برهاناً يبرر إنكاره إياها؛ فطالما يلجأ إلى توجيه التهم والعيوب المفتعلة نحو شخص الداعي، ويتخذ بذلك هدفه من ذات المتكلم بدلاً من كلامه، تلك هي النفسية التي دفعت المخاطبين إلى وصف الرسول بأنه شاعر ومجنون وكاهن .. إلخ . لقد كانوا عاجزين عن مقاومة دعوته - عليه الصلاة والسلام - ودحضها بالدليل، ومن ثم راحوا يقولون عنه ما يجعله في ذاته مثار الشك والريبة ! ولكن النبي لا ينطق من عند نفسه ، وإنما يتلقى كلامه من عند الله، والذي يتكلم متلقياً كلامه عن الله، يأتي كلامه فذاً ممتازاً عن كلام الآخرين، لدرجة لا يقدر معها أحد على الإتيان بمثله ، وهذه الواقعة هي الدليل الأكبر على أن كلامه كلام الله، وليس كلاماً إنسانياً مجرداً بالمعنى العادي .

﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

خَزَائِنُ رَبِّكَ: خزائن رزقه ورحمته أو مقدوراته.

هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ: الأرباب الغالبون أو المسلطون.

لَهُمْ سُلَّمٌ: مرقى إلى السماء يصعدون به.

إن الحقائق التي تم إعلانها من جانب الله تتسم كلها بغاية الوضوح والمعقولية ، حيث يستطيع المرء لو تأمل في أن يفهمها فيها يسر وسهولةٍ ، فما السبب إذن في مقابلة الناس إياها بالجحود والإنكار ؟ السبب يرجع إلى عدم تيقن الناس من الآخرة ، فبما أن الناس ليسوا على يقينٍ حيٍ من أنهم سيحاسبون في الآخرة، لا يأخذون هذه الأمور بمأخذ جديٍ، وبالتالي لا يتمكنون من تفهمها كذلك ، ولو استقر اليقين بحتمية الجزاء

والحساب عن الأعمال يوم القيامة في أعماق المرء، لأدرك من فوره تلك الأشياء التي تستعصي على فهمه وإدراكه الآن !!

﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ: من التزام غرم متعبون.

هُمُ المَكِيدُونَ: المجزيون بكيدهم ومكرهم.

إن الشعب المدعو يكون دوْماً على مستوى المادية ، فلو أحسّ المدعو، والحالة هذه، أن الداعي يريد أن يأخذ شيئاً من أشيائه المادية، لابتعد عنه من فوره مرتاباً ومستوحشاً .. ولهذا السبب ذاته يلتزم النبي بالحذر الشديد من أن يثور بينه وبين المخاطبين صراع أوْ نقاش ما حول المطالب المادية أبداً ، وهو يحاول جهده الاحتفاظ بجو النزاهة والسمو على الأغراض بينه وبين من يبلغهم رسالته؛ وإن اضطره ذلك إلى تحمّل خسائر مادية فادحة !!

وإذا برهن الداعي على هذا المقدار من الجدية والإخلاص تجاه دعوته، صار أهلاً لنصرة الله المتمثلة في إحباط كيد المنكرين، ورد مكرهم في نحورهم، وعدم تمكنهم من النجاح في التغلب على الداعي بأي تدبير أوْ وسيلة .

﴿ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

كِسْفاً: قطعة عظيمة.

سَحَابٌ مَّرْكُومٌ: مجموع بعضه على بعض يمطرنا.

فِيهِ يُصْعَقُونَ: يهلكون (يوم بدر).

لاَ يُغْنِي عَنْهُمْ: لا يدفع عنهم.

عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ: عذابا قبل ذلك هو القحط.

ما الذي جعل أهل مكة في قديم الزمان إذا رأوا العذاب في صورة قطعة من السماء تسقط عليهم قالوا : ﴿ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ ؟ ليس السبب في ذلك أنهم لم يكونوا مؤمنين أصلاً بوجود الله أوْ بالقوى الإلهية.. وإنما كان السبب الحقيقي وراء ذلك يرجع إلى كونهم شاكين في نبوة النبي محمد؛ الذي كان يتراءى لهم رجلاً مثلهم تماماً، وبالتالي لم يكونوا على يقين من أن إنكارهم إياه قد يكون جريمة تعرّضهم للهلاك والدمار المحقق !

﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾

بِأَعْيُنِنَا: في حفظنا وحراستنا.

وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ: نزهه تعالى حامداً له.

وَإِدْبَارَ النُّجُومِ: وقت غيبتها بضوء الصباح.

قوله ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ معناه : داوم على تذكير المخاطب واسْتمرّ في العمل على دعوته إلى الحق، رغم كل ما تلقاه من جانبه من ألوان الأذى وسوء المعاملة، وذلك حتى يبلغ عملك حده النهائي في علم الله ، وعندما يأتي هذا الحد يتجلى القضاء الإلهي

تلقائياً لكي يظهر بصورةٍ عمليةٍ الفارق المميز بين الحق والباطل، ذلك الذي كانت المحاولات تجرى لإظهاره من الناحية النظرية وحدها .

ويكون الداعي طوال هذه المدة في حفظ الله وتحت رعايته التامة ، وإنما يجب على الداعي أن يظل متوجهاً دائماً نحو ربه ، واثقاً من أن عين الله تحرسه وترعاه كل حين وآنٍ!!

obeikandl.com